جامعة الموصل/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ

أ.م.د. ازهار هادي فاضل

المادة/ فلسفة التاريخ

هنتنغتون ووهم الصراع الحتمي مع الحضارة الإسلامية

مقدمة

في عام 1993، نشر المفكر والسياسي الأمريكي صامويل هنتنغتون مقالته الشهيرة "صدام الحضارات؟" في مجلة فورين أفيرز، والتي تحولت لاحقًا إلى كتاب عام 1996 بعنوان صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي. في هذه الأطروحة، تنبأ هنتنغتون بأن الصراعات المستقبلية لن تكون أيديولوجية أو اقتصادية، كما كانت في القرن العشرين، بل ستكون ثقافية، مشيرًا تحديدًا إلى صراع قادم بين "الحضارة الغربية" و"الحضارة الإسلامية".

وعلى الرغم من الجدل الذي أثارته نظريته آنذاك، فقد لقيت ترحيبًا واسعًا في أوساط المحافظين الجدد، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث بدا أن الواقع يؤكد نبوءته. غير أن مرور الوقت، وتحليل الأحداث بعمق، أظهر أن ما قدمه هنتنغتون لم يكن نبوءة دقيقة بقدر ما كان تعميمًا مبنيًا على تصورات أيديولوجية ضيقة تجاه العالم الإسلامي.

أصل النظرية: تصنيف الحضارات ونبوءة الصراع

قسّم هنتنغتون العالم إلى تسع حضارات كبرى، من بينها الغربية، الإسلامية، الكونفوشية، والهندوسية، مشيرًا إلى أن هذه الحضارات تتمايز بقيمها وثقافاتها الأساسية، وهي المصدر الرئيسي للتوترات الدولية. وفي قلب نظريته، وضع هنتنغتون الحضارة الإسلامية كحضارة "ذات حدود دامية"، مشيرًا إلى كثافة النزاعات التي كانت الدول الإسلامية طرفًا فيها.

لكن الانتقادات الموجهة لهنتنغتون كثيرة. فالفكرة الأساسية القائلة بأن "الإسلام له حدود دامية" تتجاهل السياقات الجغرافية، الاستعمارية، والسياسية التي تفسر هذه النزاعات. لم يكن الأمر صراعًا حضاريًا كما ادّعى، بل نتيجة لتاريخ من الاحتلال الغربي، وتقسيم الدول، ودعم الأنظمة الديكتاتورية، وتدخلات عسكرية متكررة في العالم الإسلامي.

الخلل المنهجي في نبوءة هنتنغتون

أول ما يلفت الانتباه في أطروحة هنتنغتون هو تعميمه الصارخ. فالحضارات ليست كيانات متجانسة ذات حدود صلبة، بل هي تفاعلات ثقافية متغيرة، تعبر عن فسيفساء من الهويات والاختلافات الداخلية. كيف يمكن القول بأن هناك حضارة إسلامية واحدة متماسكة بينما يشهد العالم الإسلامي انقسامات مذهبية، ثقافية، وسياسية عميقة؟

كذلك، تجاهل هنتنغتون الأصوات المعتدلة والإصلاحية في العالم الإسلامي، مركزًا على التيارات المتطرفة باعتبارها ممثلة للحضارة كلها. هذا التبسيط جعل من المسلمين جماعة متجانسة تقف في مواجهة "الحضارة الغربية"، في حين أن الواقع أكثر تعقيدًا. فالمسلمون ليسوا فقط ضحايا الإرهاب، بل هم أيضًا شركاء في الحضارة الإنسانية، يساهمون في تطورها الفكري، العلمي، والاقتصادي.

الواقع بعد 11 سبتمبر: هل تحقق الصدام؟

صحيح أن هجمات 11 سبتمبر شكلت لحظة فارقة في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، وساهمت في صعود خطاب "صراع الحضارات"، إلا أن النظر إلى التطورات التالية يكشف عن بطلان نبوءة هنتنغتون. فقد أدت الحروب التي خاضها الغرب في أفغانستان والعراق إلى كوارث

إنسانية، لم تؤكد أطروحة الصدام، بل أبرزت آثار التدخلات العسكرية الكارثية تحت ذرائع حضارية.

كما أن السنوات التالية شهدت تصاعدًا في الاندماج والتفاعل بين المجتمعات الإسلامية والغربية. فالملايين من المسلمين يعيشون في الغرب كمواطنين، ويشاركون في الحياة العامة والسياسية، وهو ما يناقض فكرة التنافر الحضاري. علاوة على ذلك، فإن الصراعات التي يشهدها العالم الإسلامي اليوم غالبًا ما تكون داخلية، بين أنظمة ومعارضين، أو بين جماعات سياسية مختلفة، ولا تُفسر ضمن منطق "الصدام الحضاري" مع الغرب.

النقد الأكاديمي لهنتنغتون

واجهت أطروحة هنتنغتون نقدًا واسعًا من باحثين مثل إدوارد سعيد، الذي وصفها بأنها "أيديولوجيا مموهة بلغة علمية"، تهدف إلى تبرير السياسات الغربية تجاه العالم غير الغربي. كما أكد سعيد أن تصوير الإسلام ككتلة موحدة ومعادية يتجاهل التاريخ الطويل من التعايش، الحوار، والتفاعل الثقافي بين الإسلام والغرب.

كذلك، أشار عدد من الباحثين إلى أن هنتنغتون لم يقدم نموذجًا علميًا حقيقيًا يمكن اختباره، بل مجموعة من الانطباعات السياسية التي وُظفت أيديولوجيًا لدعم خطاب الهيمنة. لم يقدّم هنتنغتون، على سبيل المثال، تحليلًا اقتصاديًا أو اجتماعيًا دقيقًا للأسباب الحقيقية للنزاعات، بل اكتفى بإرجاعها إلى "اختلافات ثقافية" مطلقة.

التحولات الحديثة وسقوط النبوءة

خلال العقدين الأخيرين، شهد العالم الإسلامي تغيرات جوهرية، بدءًا من الثورات العربية عام 2011، وصولًا إلى صعود جيل جديد من الشباب المتصل بالعالم، والمتطلع إلى الحرية والكرامة، لا إلى الصدام. هذه الحركات لم تكن موجهة ضد الغرب، بل ضد الاستبداد الداخلي.

في المقابل، لم تُسفر سياسات "الحرب على الإرهاب" عن القضاء على التهديدات، بل ساهمت في إذكاء النزعات المتطرفة في بعض المناطق. لكن هذه الظواهر ليست تعبيرًا عن حضارة

بأكملها، بل عن مشكلات سياسية وأمنية يمكن حلّها بالحوار، التنمية، وتعزيز العدالة الاجتماعية.

خاتمة

لقد فشلت نبوءة هنتنغتون في تقديم تفسير موضوعي للصراعات المعاصرة. فقد تعامل مع الحضارات ككتل مغلقة في صراع دائم، متجاهلًا تعقيدات الواقع، وديناميكيات التفاعل البشري والثقافي. أما ما نراه اليوم، فهو ليس صدامًا للحضارات، بل أزمة في النظام العالمي الذي لا يزال يبحث عن توازن بين المصالح، القيم، والعدالة.

إن تجاوز أطروحة "صدام الحضارات" لا يعني تجاهل التحديات، بل يستوجب إعادة التفكير في العلاقات الدولية من منظور تشاركي وإنساني، يقوم على الاعتراف بالتعددية، ورفض منطق الإقات، في النهاية، لا تتصادم، بل تتفاعل وتتبادل وتتطور.